من أمجاد الجزائر

(1962 - 1830)

سلسلة تاريخية ثقافية تصدر عن وزارة المجاهدين

الشهيد

أحمد رضا حوحو

1956 - 1910

منشورات المتحف الوطني للمجاهد

تصدير

تصدر هذه السلسلة التاريخية المخصصة للشهداء الرموز الذين يزخر بهم تاريخ المقاومة والثورة التحريرية، لتنير أمام الأجيال ولاسيما الشباب معالم درب النضال والجهاد الذي شقه ملايين الشهداء الأبرار بدمائهم الزكية، وعبدوه بأجسادهم الطاهرة ليكون معبرا للجزائر ولشعبها إلى الحرية والاستقلال.

تعد هذه السلسلة مساهمة من وزارة المجاهدين في بناء الذاكرة الجماعية وإثرائها، تعزيزا للجهود التي ما فتئت الدولة الجزائرية تبذلها من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية، ودعم تواصل الأجيال وتلاحمها.

أرجو أن يجد الشباب الجزائري في هذه السلسلة ما يروي عطشه لمعرفة تاريخ بلاده وتضحيات شعبه خلال المقاومة والثورة التحريرية التي تعتبر مرحلة هامة في تاريخه المجيد.

محمد الشريف عباس

وزير المجاهدين

حقوق التأليف والنشر محفوظة للمتحف الوطني للمجاهد 2009
ر . د . م . ك : 978-9961-884-27-0
الإيداع القانوني : 2009-5846

المتحف الوطني للمجاهد

ص .ب 168 – المدنية – الجزائر
الهاتف : 00.213.021 . 66. 92. 08 – 65 . 45. 06
الفاكس : 00.213.021 . 66 . 91 . 54

البريد الإلكتروني :Email: mnm@museenat-moudjahid.dz

BP 168 EL - MADANIA - ALGER
TÉL : 00.213.021.66. 92.08-65.45.06
FAX:00.213.021.66.91.54

الشهيد

أحمد رضا حوحو

1910 - 1956

في يَـوْمٍ جَـمِـيلٍ مِـن أَيَّـامِ الـلَّـه، أَيْـقَـظَتْ (مُنيرة) وَالِدَهَا في الصَّبَاحِ البَاكِر، لكَيْ تُذكِّرَهُ بِعِيدِ مِيلاَدِها. كانت تُعدُّ لَه لَوَازِمَ الحَفْلَةِ مِنَ حَلَوِيَّاتٍ وَمَشْرُوبَاتٍ وشُمُوعٍ.

قَالَتْ لِوَالِدِها: تَصَوَّرْ أَيُّهَا الأبُ العَزِيزُ، أنّ عَدَدَ الشُّمُوعِ التي أَحْضَرْتُها تُسَاوِي عَدَدَ صَدِيقَاتِي المَدْعُوَّات للحَفْلِ، وتُسَاوِي عَدَدَ سَنَوَاتِ عُمْرِي طَبْعًا؛ ثَمَانِي شُمُوعٍ وَثَمَانِي فَتَيَاتٍ، وَوَلَدَانِ اثْنَانِ كَانَا بِصُحْبَتِهِنّ.

دَقَّت السَّاعَةُ الثَّانِيَةُ بعد مُنْتَصَف النَّهَارِ، وقد حَضَرَتْ جَمِيعُ الفَتَيَات رُفْقَةَ الوَلَدَيْنِ، وكأَنَّهُ الْتِزَامٌ بِمَوْعِدِ الدِّرَاسَةِ تَمَامًا.

كان الأبُ في اسْتِقْبَالِ الضُّيُوفِ، مُرَحِّبًا

بـكُلِّ وَاحـدٍ وواحـدَةٍ، ولمّـا أخَـذَ الجَـمـيعُ أمَاكِنَهُم، تَـأمَلَّ جَيِّداً عَـدَدَ المَدْعُـوِّينَ؛ ثَمَانِي فَتَيَاتٍ وولَدَان.

سَألَ الوَالِدُ الطِّفْلَ الذي كان بِقُرْبِه عن اِسْمِه.

أجَابَ الطِّفْلُ بِصَوْتٍ هَادِئٍ: (عقبة).

رَدَّ الـوَالـدُ وهـو يُـمَـازِحُهُ: أتَـعْـرِفُ أنَّ (عقبة) هو اسْمُ الفَاتِحِ المُسْلِمِ الكَبِيرِ؟

ابْتَـــسَمَ الطِّفْلُ وهَزَّ رَأسَهُ: أعرِفُ ! ثُمَّ سَألَ الطِّفْلَ الثَّـانِي الذي اتَّـخَذَ من زَاوِيَةِ البَيْتِ مَكَانًا لِجُلوسِه:

- وأنت، ما اسْمُكَ؟

أجَـابَ عـلى الـفَـوْرِ: أنـا (حـــوحـو)؛

ضَحِكَ الجَميعُ من الطَّريقَة التي نَطَقَ بها (حوحو). ثمَّ قَالَ له: كم عُمْرُكَ يَا حُوحُو؟

أجَابَ: خمسُ سَنَوَاتٍ.

ثمّ أعْقَبَهُ بسُؤَالٍ آخرَ:

وما الذي تُخْفِيهِ في ذلك الكَيسِ الوَرَقِيِّ؟

تَرَدَّدَ الطِّفْلُ في أوَّلِ الأمْرِ، ثُمَّ قَالَ:

هذه آلَةٌ مُوسِيقِيَّةٌ، عودٌ صغيرٌ صَنَعَهُ لِيَ خالد النَّجَّار.

قال: أنْتَ عَازِفٌ مَاهِرٌ، إذَنْ!

قال: نَعَمْ!

سَرَحَتِ الذَّاكِرَةُ بالوَالِدِ بَعِيداً، وراحَ

يَلُـمُّ شَـتَاتَـهَا.

أَيَّةُ مُصَادَفَةٍ هذه التي يَجْتَمِعُ فيها عقبة، وحوحو، والعود، والعَدَدُ عَشْرَة؟

عَـمَّت الـفَـرْحَةُ أَرْجَـاءَ الـبَـيْتِ، وظَـهَـرَت البَهْجَةُ على مَلاَمِحِ منيرة.

بَدَأَ الجَمِيعُ يُغَنّي أُغْنِيَةَ "الميلاَد": سَنَة حُلْوَة يـا مـنـيـرة؛ وكـان يَـنْـبَـعِثُ من وَسَطِ القَاعَـة صَوْتٌ شَجِيٌّ يَصْدُرُ من آلَة العُود الصَّغِـيـر، بَـرَعَتْ في عَـزْفِه أَنَـاملُ الـطِّفْلِ (حوحو). وفَجْأَةً الْتَفَّ الجَمِيعُ حَوْلَ قِطْعَةِ الحَلْوَى لإِطْفَاءِ الشُّمُوعِ، وأَنْغَامُ العُود التي لم تَتَـوَقَّفْ عنِ الانْـبِعَاثِ تَـخْـتَـرِقُ ضَجِيجَ الحَاضِرِين.

تَجَمَّعَت الفَتَيَاتُ حول الطَّاولَة الكَبيرَة، وَتَقَدَّمَ (عقبة) و (حوحو)، وأخَذَ كُلٌّ مِنْهما نَصيبَهُ من الحَلْوَى والمَشْرُوبَات، ولَمّا انْتَهَى الجَميعُ من الأكْلِ والشُّرْبِ، رَاحَ الأبُ يَسْأَلُهم ماذا تَعْني عِنْدكم هذه الكَلِمَاتُ: (عقبة، حوحو، رَقْمُ عَشَرَة).

مَلأتِ الدَّهْشَةُ عُيونَ الصِّغَار.

قَالَ عقبة:

عقبة هو اسْمِي، وهُوَ اسْمُ الفَاتِحِ الكَبير "عقبة بن نافع". ضَحِكَ الجَميعُ مَرَّةً ثَانيَةً، ثُمَّ وَاصَلَ حَديثَهُ: و (حوحو) صَديقِي، والعَدَدُ عَشَرَة هو عَدَدُ الحُضُور.

اسْتَوْقَفَهُم الأبُ مُخَاطِبًا الجَميعَ:

اسْمَعُوا؛ أَبْنَائِي وَبَنَاتِي. إنَّ اسْمَ (عقبة) يَعْنِي اسْمَ ذلك الرَّجُلِ العَظِيمِ الذي قَادَ الفَتْحَ الإِسْلاَمِيَّ إلى شَمَالِ إِفْرِيقْيَا، وإلى الجزائر تَحْدِيداً، مع ثُلَّةٍ من كِبَارِ الصَّحَابَة الفَاتِحِين؛ وهو أيضا اسْمُ مدِينَةٍ تَقَعُ بالقُرْبِ من بسكرة، تلك المَدِينَةُ التي عُرِفَ أَهْلُهَا بالعلْمِ والشَّجَاعَةِ والكَرَمِ، وبها يُوجَدُ ضَرِيحُ الصَّحَابِيِّ (عقبة بن نافع).

أمّا اسْمُ (حوحو) فهو اسْمُ أَحَدِ أدَبَاءِ الجَزَائِرِ الكِبَارِ. إنَّه أحمد رضا حوحو الذي وُلِدَ بِمَدِينَةِ سيدي عقبة ببسكرة، وكان عَازِفًا مَاهِرًا على آلَةِ العُود. وأمَّا رَقْمُ عَشَرَة فهو سَنَةُ مِيلاَدِهِ أي عام 1910 (15 ديسمبر).

أَصَرَّ الجَمِيعُ على أَنْ يَعْرِفُوا تَفَاصِيلَ حَيَاةِ هذا الأَدِيبِ، فقَالَ الأَبُ:

كان أحمد رضا حوحو مُنْذُ صِغَرِه مُولَعًا بِحِفْظِ الأَنَاشِيد الوَطَنِيَّة، ومَيَّالاً لِمُمَارَسَةِ العَزْف على آلَة العُود، كما كان مُهْتَمًّا بِقِرَاءَة القُرْآن الكَرِيم، لذلك ظَلَّ يَتَرَدَّدُ مُنْذُ صِغَرِه على كُتَّاب الحَيِّ، ليَتَعَلَّمَ القِرَاءَةَ والكِتَابَةَ، ويَحْفَظَ نَصِيبًا من القُرْآنِ الكَرِيم.

وهنا قَاطَعَهُ الصَّغِيرُ (عقبة) قَائِلاً: وأَيْنَ تَابَعَ دِرَاسَتَهُ؟

قَالَ: تَعَلَّم رضا حوحو الفَرَنْسِيَّةَ في المَدَارِسِ الفَرَنْسِيَّة بِبسكرة؛ والعَرَبِيَّةَ على يَدِ وَالِدِهِ وَبَعْضِ مَشَايِخِ المِنْطَقَة. ولَمَّا بَلَغَ السَّنَةَ

الخَامسَ عَشْرَةَ انْتَقَلَ إلى مَدِينَة "سكيكدة"، لِيُواصِلَ دِراسَتَهُ بالإكْمَالِيَّةِ الدَّاخِلِيَّة "لوسياني" [العربي التبسي حَالِيًا]، وبعد أربَعِ سَنَوَاتٍ تَوَقَّفَ عن الدِّرَاسَة.

سَأَلَ الطِّفْلُ: ما هي الأسْبَابُ التي جَعَلَتْهُ يَتَوَقَّفُ عن الدِّرَاسَة؟

قَالَ: لَمْ يَسْتَطِعْ مُوَاصَلَةَ الدِّرَاسَة، لأنَّ وَالِدَهُ رَفَضَ ذلك خَوْفًا عليه من تَأثُّرِهِ بالثَّقَافَةِ الفَرَنْسِيّة.

قَالَ الصَّغِيرُ (حوحو): وما هو العَمَلُ الذي مَارَسَهُ بعد تَوَقُّفِهِ عن الدِّرَاسَة؟

أجَابَ الوَالِدُ: اشْتَغَلَ مُوَظَّفًا بالبَرِيد.

قَاطَعَتْهُ ابْنَتُهُ قَائِلَـــةً:

- وهل بَقِيَ طَوَالَ حَيَاتِهِ عَامِلاً بالبَرِيد؟

قَـالَ: لاَ، هَـاجَـرَتْ أسْـرَتُهُ إلى المَـدِيـنَـةِ المُنَـوَّرَةِ عـام 1935، فـهَـاجَرَ معـهـا، وهنـاك أكْمَلَ دِرَاسَتَهُ، فـي مدرسةِ العُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، وحَصَلَ على شَهَادَةِ إنْهَاءِ الدُّرُوسِ بامْتِيَازٍ، سَمَحَتْ له بأن يَشْتَغِلَ أَسْتَاذاً فِي المدرَسةِ نَفْسِهَا.

قَـالَتْ صـبـاح: وهلِ اسْـتَـقَـرَّ به الـعَـيْشُ طَوِيلاً بأَرْضِ الحِجَازِ؟

أَجَابَ الوَالِدُ: أَقَامَ في الحِجَازِ مُدَّةَ عَشْرِ سنِينَ، وهُنـاك بَدَأَتْ تَظْهَرُ مَوْهِبَتُهُ الأَدَبِيَّةُ، فكَان يَكْتُبُ باسْتِمْرَارٍ في مَجَلَّةِ (المنهل)،

وفيها نَشَرَ مَجْمُوعَةً من قصَصه، ومَقَالاَته، كما نَشَرَ مَقَالَةً وَاحِدَةً في مَجَلَّة الرَّابِطَة العَرَبِيَّة (المصريّة)، كَمَا كَانَ مُتَرْجِمًا بارِعًا لبعض النُّصوص الأدَبِيَّة من اللُّغَة الفرنسيّة إلى اللُّغَة العَرَبِيَّة.

وفي أوَاخِر 1945، قَرَّرَ العَوْدَةَ إلى أرْض الوَطَن، وفي طَرِيق العَوْدَة زَارَ مصْرَ، وأقَامَ بها شَهْراً وَاحِداً؛ ثمَّ وَاصَلَ رِحْلَتَهُ إلى الجزائر، واسْتَقَرَّ به المُقَامُ بمَدينَة قسنطينة، حيث انْضَمَّ إلى جَمْعيَّة العُلَمَاء المُسْلمين الجزائريّينَ، التي كان يَرْأَسُهَا في ذلك الوَقْت الشَّيْخُ البشير الإبراهيمي، بعد وَفَاة العَلاَّمَة عبد الحميد بن باديس.

وفي 15 ديسمبر 1949، أسَّسَ مع بِضْعَةٍ

من الأصْدقَاءِ جَرِيدَةَ "الشُّعْلَة" التي كان رَئِيسًا لتَحْرِيرِها.

وهنا اسْتَوْقَفَتْهُ لُبْنَى قَائِلَةً: ومَاذا كَان يَنْشُرُ في هذه الجَرِيدَة؟

أجَابَ الوَالدُ قَائلاً: آ، يَا عَزِيزَتي لقد فَاتَنِي أن أخْبِركُم بأنَّهُ بَدَأَ الحَرْبَ ضدَّ أعْدَاءِ الوَطَنِ، بِتلك المَقَالاَت النَّارِيَّة التي كان يُطْلِقُهَا في وُجُوههم، وظَلَّ يَكْشِفُ دَسَائِسَهُم وجَرَائِمَهُم النَّكْرَاءَ وأسَالِيبَهم الوَحْشِيَّة.

قَالَ عقبة: لقد شَوَّقْتَنَا إلى المَزِيدِ من أخْبَارِ هَذا الأديب؛ تُرَى ماذا تَرَكَ لنا من أعْمَالٍ أدَبِيَّةٍ خَالِدَةٍ؟

قَالَ الوَالِدُ: لقد تَرَكَ لنا الأدِيبُ أحمد

رضا حوحو عدَّةَ أعْمَالٍ قَصَصيَّة، منها: "صَاحِبَةُ الوَحْيِ"، و "نَمَاذِجُ بَشَرِيَّة" و "غَادَةُ أمِّ القُرَى"، و "مَعَ حِمَارِ الحَكِيم".

قَالَتْ منيرة: وكيف كانت نهَايَةُ هذا الأديبِ المُبْدِعِ في ظِلِّ وُجُودِ الاِسْتِعْمَارِ الفَرَنْسيّ؟

أجَابَ الوَالِدُ:

لقد اسْتُشْهِدَ الأديبُ أحمد رضا حوحو يوم 29 مارس عام 1956 في قسنطينة، بعدما أُلْقِيَ عليه القَبْضُ من قِبَلِ جُنُودِ الاحْتلاَلِ الفَرَنْسيّ، إثْرَ عَمَلِيّةٍ فِدَائِيَّة، اسْتَهْدَفَتْ مُحَافِظَ البُولِيس، فانتقموا منْهُ بتَصْفِيَّته باعْتِبَارِه أحَدَ الوَطَنِيِّينَ المَعْرُوفِينَ بِعَدَائِهِمْ لِلاَسْتِعْمَارِ الفَرَنْسِي.

أَحْدَثَ اسْتِشْهَادُ (حوحو) فَرْحَةً عَارِمَةً لَدَى الْمُسْتَوْطِنِينَ الفَرَنْسِيِّينَ بقسنطينة، الذين أَقَامُوا الحَفَلاَت الرَّاقِصَةَ على أَنْغَامِ الْمُوسِيقَى الصَّاخِبَةِ. وكَان اغْتِيَالُهُ بالنِّسْبَةِ لأَبْنَاءِ الجزائرِ حَدَثًا مُؤْلِمًا، وهم يَفْتَقِدُون أَحَدَ الأَسْمَاءِ الكَبِيرَةِ الْمُدَافِعَةِ بالقَلَمِ عن حِمَى الجزائر.

وخَتَمَ الأبُ كَلاَمَهُ مُخَاطِبًا الجَمِيعَ: أَيُّهَا الصِّغَارُ! اقْرَأوا قصَصَ هذا الأديبِ الشَّهِيدِ؛ شَهِيدِ الكَلِمَةِ لِتَكْتَشِفُوا قِيمَتَه.

وهُنَا رَدَّدَ الجَمِيعُ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ: نَرْجُوكَ أَيُّهَا الأبُ الطَّيِّبُ بِأَنْ تَقُصَّ علينا قِصَّةً من قِصَصِ هذا الأديب.

قَالَ لَهُم: إِلَيْكُم بِدَايَةً لِقِصَّةِ (ثَرِيّ

الحَـرْبِ) من مَـجْـمُـوعـةِ صَـاحـبَـةِ الـوَحْـيِ، فـاجْـتَـهِـدُوا أن تُـكْـمِـلُـوهَا بِـأنْـفُـسِـكُـم. ثـمَّ اعْـتَـدَلَ فـي جَـلْـسَـتِـهِ، ورَاحَ يَـرْوِي الـقِـصَّـةَ على لِسَانِ الكَاتِبِ:

كُـنْـتُ جَـالـسًـا ذَاتَ مَـسَـاءٍ مع صَـدِيـقِـي فـي مَـقْـهـى عُـمُـومِـيَّـةٍ نَـتَـجَـاذَبُ أَطْـرَافَ الحَـديث، إذْ مَـرَّ بِـنـا شَـخْـصٌ فـي أَسْـمَـالِـه البَـالِـيَـة، ولَـفَـتَ نَـظَـرِي وسَـامٌ أَخْـضَـرُ اللَّـوْنِ يَـتَـدَلَّـى عـلـى صَـدْرِه. حَـيَّـانَـا الـرَّجُـلُ؛ فَـرَدَّ عـلـيـه صَـديـقِـي الـتَّـحِـيَّـةَ بِـحَـرَارَةٍ، ودَعَـاهُ لـلـجُـلُـوسِ، ولَـكِـنَّ الـرَّجُـلَ رَفَـضَ، ووَاصَـلَ طَـرِيـقَـهُ فـي صَـمْـتٍ؛ ومـا كَـادَ يَـتَـوارَى عـن الأَنْـظَـارِ حـتـى ابْـتَـدَرَنِـي صَـدِيـقِـي قَـائِـلاً: أَلاَ تَـعْـرِفُ هـذا الـرَّجُـلَ؟

قلت: لاَ .. لاَ أَعْـرِفُـهُ .. مَـنْ يَـكُـون؟

قَالَ : هذا سِي شعبان ...

وفي هذه اللَّحْظَة سَمِعَ الوَالِدُ صَوْتَ الأذَانِ يَنْبَعِثُ من المَسْجِدِ القَرِيبِ، فَأوْقَفَ سَرْدَ القِصَّةِ، وبِخُطىً سَرِيعةٍ قَامَ مُتَوَجِّهًا نحو المَسْجِدِ.

وتَفَرَّقَ الجَمِيعُ وهم عَازِمُونَ على مُوَاصَلَةِ قِرَاءَةِ القِصَّةِ بأنْفُسِهِم، وزِيَادَةِ الاطِّلاَعِ على بَاقِي قِصَصِ هذا الأَدِيبِ الشَّهِيد.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار